جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

محاضرة دراسات أدبية قديمة: مرحلة الماجستير

عنوان المحاضرة :الدلالات المعنوية للشعر العربي

مدرسة المادة : أ.د. أسماء صابر جاسم

المحاضرة : التاسعة

1445هـ

2023م

خصائص الشعر الجاهلي

كانت البادية بيئة الشعر الجاهلي، ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية، يدور حول الجمل والطلل ومع انه قد نبغ في المدن شعراء فأن فحول الشعر علهم كانوا في اهل الوبر (سكان = الخيام = البدو) ولم يعترف الجاهليون ولا علماء الشعر المسلمون بتقدم شاعر قروى (مدني) على شعراء البادية. وعلى هذا ينتظر أن ترى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها الا قليلًا من الوان الحضر عرضت في شعر شعراء ذهبوا الى بلاطات فارس والعراق والشام كالأعشى والنابعة مثلاً . فمن تلك الخصائص :

أولا: الخصائص المعنوية

1. الصدق : الصدق في الشعر ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه والا يتكلف في ايراده بصرف النظر عما اذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت أولم تقع او كان مبالغاً فيها ان الابيات التي تصف) دار جلجل)، في معلقة امرئ القيس صادقة تعبير عن نفس امرئ القيس وعما يتمناه امرؤ القيس في لهوه ، مع أن الحادثة نفسها قد تكون مختلفة أو مبالغاً فيها. وهذا التقليل يصدق على الفخر الجاهلي والوصف والهجاء والحكمة.

فليس من الضروري مثلاً ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنا قوما البحر تملأه سفينا

صحيحًا (ونحن نعلم انه غير صحيح) . ولكن المهم ان عمراً كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره.

2. النزعة الوجدانية : والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الاولى يصف نفس قائله و شعوره حتى ان الشاعر القديم كان اذا عرض لبحث موضوعي واقعي كوصف الصيد والحرب او كالحكمة والرثاء لونه بشعوره هو فنتقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً.

قال زهير :

الا أبلغ الاحلاف "عني" رسالة و ذبيان : هل اقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى، ومهما يكتم الله يعلم

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنا بالحديث المرجم

لذلك كان الشعر الجاهلي شعر انشادًا (غنائيًا) يلقيه الشاعر على لحن الربابة و لانزال نحن الى اليوم نقول (انشد الشعر) اي القاه في حفل الناس.

3. البساطة : ان الحياة الفطرية والبدوية والقدم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة كذلك كانت البيئة الجاهلية وكذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي .. جرى الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في عالم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد في ما شعر به واذا كنا نرى عند الشاعر الجاهلي شيئًا من المبالغة فلأن حياة الفروسية وضرورة اعتماد الفرد على نفسه تبعثان الزهو في الفرد ولم يشذ الجاهلي على هذه القاعدة قال عنترة:

اذ يتقون بي الاسنة لم اضم عنها ، ولكني تضايق مقدمي

فجعل جميع قومه الذين يحاربون في المعركة يحتمون به ويتدارون بظهره على ان الطبع و السجنة والبساطة والصدق ايضاً تتمثل كلها في قول عنترة يخاطب عبلة:

ولقد ذكرتك الرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها لعمت كبارق ثغرك المتبسم

4. القول الجامع: كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انه (شعر وجداني) ، من اجل ذلك كان معرضاً للآراء المفردة اكثر منه معالجة مستفيضة لشؤون الحياة . ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً

الى استجماع القول حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة ، وحتى جعل الاقدمون يفتخرون بذلك . فاذا راجعت ابيات زهير التي استشهدنا بها على (النزعة الوجدانية)، تبين لك انها تضم سبع معان او سبع جمل تامة المعاني... وحسبك من ذلك انهم اعجبوا يقول امرئ القيس :

قفا نبك ما ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قالوا : انه وقف و استوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت الواحد،

5. الاطالة والاستطراد : وكان يحمد في الشاعر الجاهلي ان يكون)) طويل النفس)) اي ان يطيل القصائد . فاذا ذكرنا انه كان ميالا الى ذكر الاداء المفردة والقول الجامع، لم نستغرب ان يخرج احياناً من الموضوع الاساس الى موضوعات تتعلق ما قرب او في بعده وهذا يسمى الاستطراد . وربما استطرد الشاعر الى موضوع ثم عاد الى ما كان في الكلام عليه، وربما استطرد فلم يعد. وقد أثر عن الجاهلية مقطعات قبل ان اكثرها كان في الاصل قصائد طوال ثم نسيء . ومع علم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هذه المقطعات ابتداءاً فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل الى اطالة القصائد.
6. الخيال : واذا كان اتساع افق الصحراء قد ادى الى اتساع خيال الشاعر الجاهلي ، فان هذا الخيال كان فطرياً بسيطاً كبيئته، ولعلك لا تستغرب اذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحضر. كالاعشى وامرئ القيس والنابغة كانوا في خيالهم اوسع و اعمق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر.

ثانيًا : الخصائص اللفظية

1. غرابة الألفاظ

إذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في أكثره على (كلمات غريبة)، وهي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا، ولكن تلك الكلمات كانت يومذاك (فصيحة) مألوفة مأنوسة، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام وعلى الابل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام، والابل مألوفة عنده، ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالة عليها وعلى أوجهها وأدواتها وآلاتها على ما ترى في وصف طرفة (الناقة) في معلقته على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ

نحو: رائل (النعام) وقد تكون وحشية أو وحشية مستكرهه في مثل بعاق (المطر) . وكان الجاهلي حريصاً على ان يستعمل الكلمة (الجزلة) ، أي التي تقع في موقعها وتدل على المعنى المقصود بها من غير الاستعانة باللفاظ اخر نحو (قلت) بكسر القاف ومعناها (نمت بعد الظهر) ، فكلمة (قلت) في هذا الموضع الجاز جزلة، أما كلمة (نمت) في هذا الموضع ليست جزلة لأنها لم تؤد المعنى الذي قصدناه الا بعد ان زدنا عليها كلمتين آخرتين .

2. متانة التركيب وبلاغة الأداء

التركيب في الشعر الجاهلي متين صحيح، يجري على قواعد اللغة العربية، لأضعف فيه من تقديم لفظ في غير محله أو تأخير لفظه إلى غير مكانها الذي تقتضيه اساليب العرب، أو زيادة لا فائدة فيها ، أو حذف لغير سبب نحوي. وتراكيبه أيضًا بليغة تؤدي المعاني المقصودة منها في الأحوال المناسبة حقيقة ومجازا بتشابيه واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني وتكسو الافكار قوة وبروزا من غير تأثير بعجمة أو لحن عامي وقد تجد الشعر الجاهلي بضعة الفاظ من الجناس والطباق، ولكنها كلها غير مقصودة وانما وقعت هناك اتفاقًا، ولعل شاعرها لم يفطن اليها.

3. العناية والتنقيح

بما ان الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه فانه لم يتكلف عادةً . في ما كان ينظمه بل كان يلقيه إلى الناس كما يخطر له ويدور في خياله. إلا ان هناك نفر من الشعراء يأخذون أشعارهم بالعناية والتنقيح، وهم يسمون في مجال الأدب العربي "عبيد الشعر"، لأنهم يتكلفون اصلاحه بعد نظمه ويشغلون به حواسهم و خواطرهم وقد عدوا من هؤلاء النابغة وزهيرا والحطيئة وطفيلا الغنوي واشتهر من بينهم زهير بقصائده «الحوليات»، أي التي كان يقضي حولا (عاما) كاملا في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها على النقدة. وأراد الجاحظ تعليل ذلك فقال: «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا (كاملا) وزمنا طويلا، يردّد فيها نظره ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله وتتبعا على عقله فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره إشفاقا على أدبه وإحرازا (صيانة) لما خوّله الله تعالى من نعمته وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلّدات والمنقحات ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا.